٩- غزوة أُحُد

١- بين يدى الغزوة:

هي الغزوة التي اجتمع فيها النصر والهزيمة، وظهر فيها النفاق بأظهر علاماته وأجلى صفاته، والإيمان وما يفعله في النفس البشرية من الاستعلاء على الشهوات، والإخلاص لرب الأرض والسماوات.

الغزوة التي كانت درسًا عمليًا للصحب الكرام، وإن كان الثمن غاليًا من القتلى والجرحى، وماأصاب المصطفى ﷺ، إلا أن الدرس باقٍ على مر العصور، يتعلم منه المسلمون أسباب النصر وأسباب الهزيمة ثمار التوكل على الله والثقة به، وآثار التطلع إلى الدنيا والرغبة في أعراضها وشهواتها، ولقد كانت الدروس القرآنية وإيقاف الصحابة على مواطن الدرس والعِظة رقيقة لطيفة تناسب النفوس المكلومة، والأبدان التي أصابها القرح، فبينما قال الله عَزَّ وَجَلَّ لهم بعد غزوة بدر وهم في فرحة النصر وعافية الأبدان: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧- ٦٨].

قال لهم بعد أُحد: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[آل عمران: ١٥٢]

ثم كيف عزاهم الله عَزَّ وَجَلَّ بهذا العزاء الرقيق فذكَّرهم بعقوبة المكذبين، وأن هذه جولة عارضة، من أجل التربية والتمحيص، ولكن السنة الدائمة أن الله عَزَّ وَجَلَّ يمكن لعباده المؤمنين، وتكون العاقبة للمتقين، والهلاك للمكذبين فقال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧- ١٣٩].

والحرب دُول بين أولياء الله عَزَّ وَجَلَّ وأعدائه، ولكن العاقبة في النهاية للمتقين، وأهل الحق الله مولاهم وحسيبهم وكفيلهم وعليه إثابتهم، وأعداء الله عَزَّ وَجَلَّ لا مولي لهم، فالشهداء يحتسبهم المؤمنون عند ربهم ويعلمون أن ما لهم عند الله خير من الدنيا وما فيها، وما من مكلوم يُكَلَمُ في سبيل الله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا أتى يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا اللون لون الدم والريح ريح المسك. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

٢- أحداث الغزوة:

بعد أن أصيبت قريش في عظمائها، وأئمة الكفر فيها يوم بدر وقلوبهم تغلي حقدًا وحنقًا وغيظًا على المسلمين، فعبأت قوتها، واستعانت بحلفائها، وخرجت في ثلاثة آلاف مقاتل، ووافت مشارف المدينة بعد سنة وشهر تقريبًا من غزوة بدر في منتصف شوال من السنة الثالثة من الهجرة على الراجح.

وما علم النبي ﷺ بمسيرهم استشار أصحابه، وكان النبي ﷺ قد رأى رؤيا تشير إلى ما حدث: عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب. ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفًا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان، فإن هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضًا بقرًا والله خير فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد وثواب الصدق الذي آتانا الله بعد**»[(١)].

فلما شاور النبي ﷺ أصحابه أشارعليه الشباب، ومن حرم من شهود بدر وغلبه الشوق إلى الجهاد وملاقاة العدو بالخروج إليهم، وكان من رأيه ﷺ

(١) رواه البخاري (١٢/ ٤٢١) التعبير، ومسلم (١٥/ ٣١، ٣٢) «الرؤيا»، وابن ماجه [٣٩٢١] «الرؤيا».

ورأى الشيوخ وكذلك عبدالله بن أبي ابن سلول المكث في المدينة ومقاتلتهم إذا دخلوها في الأزقة ومن أسطح البيوت.

روى أحمد عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «**رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت بقرًا منحرة فأولت أن الدرع الحصينة المدينة، وأن البقر هو والله خير**»، قال فقال لأصحابه: «**لو أنا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم**» فقالوا: يا رسول الله والله ما دخل علينا فيها في الجاهلية فكيف يدخل علينا في الإسلام؟ قال عفان في حديثه فقال: شأنكم إذًا قال: فلبس لأمته. قال: فقالت الأنصار: رددنا على رسول الله رأيه، فجاءوا فقالوا: يا نبي الله شأنك إذًا. فقال: «**إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل**» (١).

فخرج النبي ﷺ لملاقاة قريش(٢)، وبينما هو في الطريق انسحب من الجيش عبدالله بن أبي رأس النفاق بثلث الجيش -ثلاثمائه مقاتل - وكانت هذه أول فائدة من فوائد هذه الغزوة، وهي تمييز المنافقين، والفصل بينهم وبين المؤمنين الصادقين قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٧](٣).

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٥١)، والدارمي (٢/ ١٢٩، ١٣٠)، وله شاهد عن ابن عباس رواه الحاكم (٢/ ١٢٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي والألباني. وله بقية سوف نذكرها في موضعها من حديث ابن عباس.

(٢) قال محمد بن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة حين صلى الجمعة فأصبح بالشعب من أحد فالتقوا يوم السبت في النصف الأول من شوال قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٣) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «لما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين، فرقة تقول: نقاتلهم وفرقة تقول: لا نقاتلهم فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ [النساء: ٨٨]، وقال: «**إنها طيبة تنقي الذنوب كما تنقى النار خبث الفضة**»، رواه البخاري (٧/ ٤١٢).

وتعلل عبدالله بن أبي بأن النبي ﷺ خالفه وأخذ يقول غيره وأكذبه الله عَزَّ وَجَلَّ في كل ما ادعاه بقوله:﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

وهذا الغدر من النافقين هو المتوقع منهم، لأن الدافع للبذل والتضحية هو الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ والرغبة في ثوابه ورضاه فإذا عدم الإيمان فلأى شيء يعرض المنافق نفسه للخطر، وكادت هذه الخيانة أن تؤثر في بعض المؤمنين إلا أن الله عَزَّ وَجَلَّ عصمهم من ذلك لحبهم لله عَزَّ وَجَلَّ والرغبة في نصرة دينه كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، وهم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس.

عن جابر رضي الله عنه قال: «فينا نزلت ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] نحن الطائفتان: بنو حارثة وبنو سلمة، وما نحب أنها لم تنزل لقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾»(١).

قال ابن القيم رحمه الله: فظاهر رسول الله ﷺ بين درعين يومئذٍ، وأعطى اللواء مصعب بن عمير، وجعل على إحدى المجنبتين الزبير ابن العوام، وعلى الأخرى المنذر ابن عمرو، واستعرض الشباب يومئذ فرد من استصغره عن القتال وكان منهم عبدالله بن عمر، وأسامة بن زيد، وأسيد بن ظهير، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وعرابة بن أوس، وعمرو بن حزم، وأجاز من رآه مطيقًا وكان منهم سمرة بن جندب، ورافع بن خديج ولهما خمس عشرة سنة، ورد من رد لصغره عن سن البلوغ (٢).

(١) رواه البخاري (٨/ ٧٣) التفسير، ومسلم (١٣/ ٦٦، ٦٧) فضائل الصحابة. قال القاسمي: أي لفرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله تعالى وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وأن تلك الهمة ما أخرجتهم عن ولاية الله تعالى «محاسن التأويل» (٤/ ٢١٦).

(٢) باختصار من زاد المعاد (٣/ ١٩٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «عرضني رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني، وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وكان عدد جيش المسلمين بعد رجوع عبدالله بن أبي بثلث الجيش سبعمائة مقاتل وأوقف النبي ﷺ عبدالله بن جبير في خمسين من الرماة يحمون ظهورهم وأمرهم أن لا يفارقوا أماكنهم.

وتعبأت قريش للقتال في ثلاث آلاف، وفيهم مائتا فارس، فجعلوا على ميمنتهم خالد ابن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل. وبدأ القتال بانتصار ساحق للمسلمين.

روى الحاكم في «مستدركه» عن ابن عباس قال: «ما نصر النبي ﷺ في موطن كما نُصر يوم أحد، قال الراوي عنه عبيد الله بن عتبة فأنكرنا ذلك فقال ابن عباس بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، إن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول في يوم أحد: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وإنما عنى بهذا الرماة وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ثم قال: احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، فلما غنم رسول الله ﷺ وأباحوا عسكر المشركين انكشف الرماة جميعًا فدخلوا في العسكر ينتهبون وقد التقت صفوف أصحاب النبي ﷺ فهم هكذا وشبك بين أصابع يديه والتبسوا، فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخل الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ فضرب بعضهم بعضًا والتبسوا، وقتل من المسلمين ناس كثير، وقد كان لرسول الله ﷺ وأصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة وجال المسلمون جولة نحو الجبل..»[1].

(١) رواه الحاكم (٢/ ٢٩٦) التفسير، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

وروى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشًا من الرماة، وأمر عليهم عبدالله وقال: لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا، فلما لقينا هربوا، حتى رأيت النساء رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن، فاخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة، فقال عبدالله: عهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتيلًا.

وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: لا تُجيبوه فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: لا تجيبوه. فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله أبقي الله عليك ما يخزيك».

قال أبو سفيان: أعلو هبل. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أجيبوه**». قالوا: ماذا نقول: قال: «**قولوا: الله أعلى وأجل**». قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيبوه». قالوا: ماذا نقول؟ قال: «**قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم**». قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال، وتجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤني[1].

وأشيع بين الصحابة رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ ﴾ [آل عمران: ١٥٣] قال ابن جرير: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: «فأثابكم غَمًّا بغم».

فأثابكم بغمكم أيها المؤمنون بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ، بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون بمعصيتكم أمر ربكم وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم غم ظنكم أن نبيكم قد قتل، وميل العدو عليكم ونبوكم منهم[2].

(١) رواه البخاري (٧/ ٤٠٥) المغازي.

(٢) «جامع البيان» (٤/ ٩١) ط. «دار المعرفة» بيروت لبنان.

ودل على ذلك كذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. وفر كثير من الصحابة رضي الله عنهم وعفا الله عَزَّ وَجَلَّ بفضله ورحمته عنهم كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وثبت مع النبي ﷺ نفر قليل منهم طلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص وأبو دجانة وأبو طلحة الأنصاري كما نزلت ملائكة من السماء تقاتل عن رسول الله ﷺ (١).

عن قيس قال: «رأيت يد طلحة شلاَّء وقى بها النبي ﷺ يوم أُحُد»(٢).

قال الحافظ: وقع بيان عند الحاكم في الإكليل من طريق موسى بن طلحة، «جرح يوم أحد تسعًا وثلاثين أو خمسًا وثلاثين وشلت إصبعه، أي السبابة والتي تليها». وللطيالسي من طريق عيسى بن طلحة عن عائشة قالت: «كان أبو بكر إذا ذكر يوم أُحد قال: كان ذلك اليوم كله لطلحة. قال: كنت أول من فاء فرأيت رجلًا يقاتل عن رسول الله ﷺ قال: فقلت: كن طلحة، قلت: حيث فاتني يكون رجل من قومي، وبيني وبينه رجل من المشركين، فإذا هو أبو عبيدة»، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أُحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه قال: «**من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة**» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ثم رهقوه فقال: «**من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة**» فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: «**ما أنصفنا أصحابنا**» رواه مسلم (١٢/ ١٤٧، ١٤٨) الجهاد.

(٢) رواه البخاري (٧/ ٤١٦) المغازي.

«**دونكما صاحبكما**»، يريد طلحة، فإذا هو قد قطعت إصبعه، فلما أصلحنا من شأنه» وفي حديث جابر عند النسائي: «فأدرك المشركون رسول الله ﷺ فقال: **من للقوم؟** فقال طلحة:أنا» فذكر قتل الذين كانوا معهما من الأنصار (١).

وممن قاتل بين يديه ﷺ ونال هذا الشرف العظيم في هذه الساعة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : عن سعيد بن المسيب قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: نثل لي النبي ﷺ كنانته يوم أحد فقال: «**أرم فداك أبي وأمي**» (٢).

ومن هؤلاء الأبطال الذي أبلوا بلاء حسنًا يوم أُحد أبو طلحة الأنصاري. عن أنس قال: «لما كان يوم أُحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مجوب عليه بجحف له، وكان أبو طلحة رجلًا راميًا شديد النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثًا، وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل فيقول: انثرها لأبي طلحة فقال: ويشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحرى دون نحرك، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما، تنقزان القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنه ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم، ولقد وقع السيف من يدى أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثًا» (٣).

ومن الذين قاتلوا بين يديه ﷺ ملائكة من السماء، عن سعد رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم أُحُد ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد» (٤).

---

(١) فتح الباري (٧/ ٤١٨) المغازي.

(٢) رواه البخاري (٧/ ٤١٥) المغازي.

(٣) رواه البخاري (٧/ ٤١٨) المغازي، ومسلم (١٢/ ١٨٩) «الجهاد والسير».

(٤) رواه البخاري (٧/ ٤١٤، ٤١٥) المغازي، ومسلم (١٥/ ٦٦) الفضائل. قال النووي: فيه: بيان كرامة النبي ﷺ على الله تعالى وإكرامه إياه بإنزل الملائكة تقاتل معه وبيان أن الملائكة تقاتل وأن قتالهم

قال الحافظ: هما جبريل وميكائيل، كذا وقع في مسلم من طريق أخرى عن مسعر، وفي آخره «يعني جبريل وميكائيل».

وجُرح وجه رسول الله ﷺ يوم أُحد، وكُسرت رباعيته، وهُشمت البيضة على رأسه -بأبي هو وأمي-. عن أنس أن رسول الله ﷺ كُسرت رُباعيته يوم أُحد، وشُجَّ في رأسه، فجعل يسلت الدمَ عنه ويقول: «**كيف يُفلح قوم شَجُّوا نَبِيَّهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله**» (١) فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]

وعن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد يسأل عن جرح رسول الله ﷺ يوم أُحد فقال: «جرح وجه رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان على ابن أبي طالب يسكب عليه بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيده إلا كثرة، فأخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادًا، ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم» (٢).

وبعد أن اشتد الكرب والغم بالمؤمنين ومحص الله قلوبهم، وابتلى ما في صدورهم، واتخذ ما شاء من الشهداء، أنزل عليهم أمنًا ونعاسًا أصاب الصادقين منهم فخفف عنهم مصابهم وربط به على قلوبهم وأما أصحاب الريب والشكوك والظنون السيئة فقد أهمتهم أنفسهم، وتلاعبت بهم الشياطين، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ

=لم يختص بيوم بدر وهذا هو الصواب خلافًا لمن زعم اختصاصه فهذا صريح في الرد عليه وفيه: فضيلة الثياب البيض وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء بل يراهم الصحابة والأولياء وفيه: منقبة لسعد بن أبي وقاص الذي رأى الملائكة والله أعلم. «شرح النووي» (١٥/ ٦٦).

(١) رواه مسلم (١٢/ ١٤٩) الجهاد والسير.

(٢) رواه مسلم [١٧٩٠] الجهاد والسير، والبخاري (٧/ ٤٣٠، ٤٣١) المغازي.

ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال الأستاذ سيد قطب : ولقد أعقب هول الهزيمة وذعرها وهرجها ومرجها سكون عجيب، سكون في نفوس المؤمنين الذين ثابوا إلى ربهم، وثابوا إلى نبيهم، لقد شملهم نعاس لطيف يستسلمون إليه مطمئنين!﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وهي ظاهرة عجيبة، تشعر برحمة الله التي تحف بعباده المؤمنين، والنعاس حين يلم بالمجهدين المُرهقينُ المفزعين ولو لحظة واحدة يفعل في كيانهم فعل السحر، ويردهم خلقًا جديدًا، أما الطائفة الأخرى: فهم ذوو الإيمان المزعزع الذين شغلتهم أنفسهم وأهمتهم، والذين لم يتخلصوا من تصورات الجاهلية، ولم يسلموا أنفسهم كلها لله خالصة، ولم يستسلموا بكليتهم لقدره، ولم تطمئن قلوبهم إلى أن ما أصابهم إنما هو ابتلاء للتمحيص وليس تخليًا من الله عن أوليائه لأعدائه، ولا قضاء منه سبحانه للكفر والشر والباطل بالغلبة الأخيرة والنصر الكامل.

إن هذه العقيدة تعلم أصحابها فيما تعلم أن ليس لهم في أنفسهم شيء فهم كلهم لله، وأنهم حين يخرجون للجهاد في سبيله يخرجون له، ويتحركون له ويقاتلون له بلا هدف آخر لذواتهم في هذا الجهاد [١]. عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: « كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أُحد حتى سقط سيفي من يدي مرارًا، يسقط وآخذه، ويسقط فآخذه» [٢].

---

(١) باختصار من «الظلال» (١/ ٤٨٩).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٤٢٢) المغازي.

ولما تركت قريش ساحة القتال اشتغل النبي ﷺ بدفن الشهداء وأمر بدفنهم في دمائهم وثيابهم، ولم يغسلوا، ولم يُصل عليهم، وأمر بدفنهم في أماكن استشهادهم. عن جابر بن عبدالله: «لما كان يوم أُحد جاءت عمتي بأبي لتدفنه في عن مقابرنا، فنادى منادي رسول الله ﷺ: «**ردُّوا القتلى إلى مضاجعهم**» (١). وكان رسول الله ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: «**أيهم أكثر أخذًا للقرآن**» فإن أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد، وقال: «**أنا شهيد على هؤلاء**»، وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصل عليهم ولم يغسلهم»(٢).

وقد حَّن إليهم رسول الله ﷺ فصلى عليهم قبل وفاته، فكان كالمودع لهم.

عن عقبة أن النبي ﷺ: «خرج يومًا فصلى على أَهل أُحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: «**إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم...**» (٣).

فصل في مصارع الأبطال وأكابر الشهداء

ويشتمل هذا الفصل قصص استشهاد الأكابر بعد أن أبلوا أحسن البلاء وكانوا أمثلة نادرة للشجاعة والفداء، نسأل الله أن يجمعنا بهم في دار الشهداء وأن ينفع بحبهم والنسج على منوالهم من يشاء من الأولياء.

١- قصة استشهاد سيد الشهداء حمزة:

وحمزة هو عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة، أسد الله وأسد رسوله، الأسد الهادر الذي طالما أطار بسيفه هامات الكفار، وكان قتله غدرًا ولم يكن في ساحة النزال، حيث يتقابل الأبطال.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٩٨) بطوله ومختصرًا في (٣/ ٣٠٨) والنسائي (٤/ ٧٩) مختصرًا في الجنائز وابن ماجه [١٥١٦] الجنائز، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٧/ ٤٣٣) المغازي، والترمذي (٤/ ٢٥٣) الجنائز، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه[١٥١٤] الجنائز.

(٣) رواه البخاري (٧/ ٤٣٦، ٤٣٧) المغازي.

عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت مع عبيدالله بن عدي بن الخيار فلما قدمنا حمص قال لي عبيدالله بن عدي: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم. وكان وحشي يسكن حمص فسألنا عنه فقيل لنا: هو ذاك في ظل قصره كأنه حميت[1]. قال: فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير فسلمنا فرد السلام قال: وعبيد الله متعجز بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه فقال عبيدالله: يا وحشي أتعرفني؟ قال: فنظر إليه ثم قال: لا والله، إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتال بنت أبي العيص، فولدت له غلامًا بمكة، فكنت أسترضع له، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه، فكأني نظرت إلى قدميك. قال: فكشف عبيد الله عن وجهه ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم، إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر، فقال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر، قال: فلما خرج الناس عام عينين، وعينين جبل بحيال أُحد بينه وبينه واد، خرجت مع الناس إلى القتال فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور أتحاد الله ورسوله ﷺ، قال: ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب، قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة فلما دنا مني رميته بحربتي، فأضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسلًا، فقيل لي: إنه لا يهيج الرسل، قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رآني قال: «**أنت وحشي؟**». قلت: نعم. قال: «**أنت قتلت**

---

(١) قوله: «حميت» بوزن رغيف أي زق كبير ما يقال ذلك إذا كان مملوءًا. قوله: «أسترضع له» أي: أطلب من يرضعه، زاد في رواية ابن إسحاق «والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوى فإني ناولتكها وهي على بعيرها فأخذتك فلمعت لي قدمك حين رفعتك فما هو إلا أن وقفت علي فعرفتها». قال الحافظ: وهذا يوضح قوله في رواية الباب «فكأني نظرت إلى قدميك» يعني أنه شبه قدميه بقدم الغلام الذي حمله فكأنه هوهو بين الرؤيتين قريب من خمسين سنة فدل ذلك على ذكاء مفرط ومعرفة تامة بالقافة «فتح الباري» (٧/ ٤٢٦).

حمزة؟» قال:قد كان من الأمر ما بلغك. قال: «**فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟**»قال: فخرجت، فلما قبض رسول الله ﷺ، فخرج مُسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن إلى مُسيلمة لعلى أقتله فأكافئ به حمزة، قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان، قال: فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أوراق ثائر الرأس، قال: فرميته بحربتي، فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه. قال: ووثب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته(١).

٢- قصة استشهاد أنس بن النضر رضي الله عنه:

عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أُحد، وانكشف المسلمون قال: «اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين» ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: «يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد». قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه.

قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أمثاله:﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣] (٢).

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٤٢٤، ٤٢٥) المغازي قوله: «**كأمس الذاهب**» هي كناية عن قتله أي صيره عدمًا. قوله: «**في ثنته**» هي العانة وقيل: ما بين السرة والعانة. قوله: «جمل أورق» أي لونه مثل الرماد من غبار الحرب.

(٢) رواه البخاري (٧/ ٣٥٤، ٣٥٥)، ومسلم (١٣/ ٤٧، ٤٨) الإمارة، والترمذي (١٢/ ٨٠، ٨١ عارضة) التفسير. وقوله: «فما استطعت يا رسول الله ما صنع» أي أصنع مثل ما صنع أو أصف ما صنع.

٣- قصة استشهاد عبدالله بن حرام، والد جابر رضي الله عنهما:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لما قُتل أبي جعلت أكشف الثوب عن وجهه أبكى وينهوني والنبي ﷺ لا ينهاني فجعلت عمتي فاطمة تبكي، فقال النبي ﷺ: «**تبكين أو لا تبكين ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه**»(١).

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال:«لما حضر قتال أُحد دعاني أبي من الليل فقال: إني لا أراني إلا مقتولًا في أول من يقتل من أصحاب رسول الله ﷺ، وإني والله ما أدع أحدًا يعني أَعزُّ عليّ منك بعد نفس رسول الله ﷺ، وإن عليّ دينًا فاقض عني ديني، واستوص بإخوتك خيرًا قال: فأصبحنا فكان أول قتيل، فدفنته مع آخر في قبر، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر في قبر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه» (٢).

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى لا يُكلم أحدًا إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحًا فقال: تمن علي**» وذكر الحديث(٣).

٤- قصة استشهاد اليمان، والد حذيفة رضي الله عنهما:

عن محمود بن لبيد قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد وقع اليمان بن جابر أبي حذيفة وثابت بن وقش بن زعوراء في الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبا لك ما ننتظر فوالله ما بقى لواحد منا من عمره إلا ظمأ حمار(٤)، وإنما نحن هامة القوم (٥)، ألا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٣٥) الجنائز.

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٢٠٣) معرفة الصحابة وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

(٣) رواه الحاكم (٢/ ٢٠٤) معرفة الصحابة وقال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) قال السهيلي: إنما قال ذلك لأن الحمار أقصر الدواب ظمأً والإبل أطولها أظماء.

(٥) في «أسد الغابة»: إنما نحن هامة اليوم أو غدًا.

ﷺ ، فدخلا في المسلمين ولا يعلمون بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما أبي حذيفة فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه. فقال حذيفة أبي أبي فقالوا: والله ما عرفناه، وصدقوا. فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه، فتصدق به حذيفة على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ [(١)].

٥- قصة استشهاد عمرو بن الجموح:

وكان أعرج شديد العرج، وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول الله ﷺ ، فلما توجه إلى أُحد أراد أن يخرج معه فقال له بنوه: إن الله جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع الله عنك الجهاد، فأتى عمرو رسول الله ﷺ فقال: إن بني هؤلاء يمنعونني أن أجاهد معك، ووالله إني لأرجو أن استشهد، فأطأ بعرجتي في الجنة. فقال له رسول الله ﷺ : «**أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد**» وقال لبنيه: «**وما عليكم أن تدعوه، لعل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقه الشهادة**» فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أُحد شهيدًا [(٢)].

٦- قصة استشهاد عبدالله بن جحش رضي الله عنه :

عن سعيد بن المسيب قال: «قال عبدالله بن جحش: اللهم إني أقسم عليك أن ألقى العدو غدًا فيقتلوني ويجدعوا أنفي وأذني ثم تسألني بما ذاك فأقول فيك، قال سعيد بن المسيب: إني لأرجو أن يبر الله آخر قسمه كما بر أوله» [(٣)].

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ٢٠٢) معرفة الصحابة، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأخرج البخاري الجزء الأخير في قتل اليمان في «صحيحه» (٧/ ٤١٨) المغازي.

(٢) رواه ابن هشام (٢/ ١٣٩) عن ابن إسحاق، وبعضه في المسند (٥/ ٢٩٩) من حديث أبي قتادة وصحح الألباني إسناده في تحقيق «فقه السيرة» هامش [٢٨١].

(٣) رواه الحاكم (٣/ ١٩٩، ٢٢٠) معرفة الصحابة وقال: صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه، ووافقه الذهبي. وقال الألباني: لكن له شاهد موصول، وأخرجه البغوي كما في «الإصابة» من طريق

٧- قصة استشهاد مصعب بن عمير رضي الله عنه :

قال ابن إسحاق: «وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل، قتله ابن قمئة الليثي، وهو يظنه رسول الله فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمدًا»(١).

وعن خباب قال: «هاجرنا مع رسول الله ﷺ ونحن نبتغي وجه الله فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى لسبيله لم يأكل من أجره شيئًا منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد، ولم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فقال رسول الله ﷺ : «**غطوا رأسه واجعلوا على رجليه من الإذخر ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهد بها**» (٢).

فصل في خروج النبي ﷺ إلى حمراء الأسد

أشفق النبي ﷺ من أن يعود جيش أبي سفيان إلى المدينة، ونما إلى علمه أنه يفكر في ذلك، فدعا الصحابة رضي الله عنهم إلى الخروج فلم يستسلموا للأحزان على الشهداء، ولا للجراح التي بهم، وخرجوا مع رسول الله ﷺ ، واشترط رسول الله ﷺ أن لا يخرج معه إلا من خرج معه بالأمس، فخرجوا حتى بلغوا حمراء الأسد، وهي على بعد ثمانية أميال من المدينة على يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة. روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها :﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٢] قالت لعروة: يابن أختي، كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أُحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن

=إسحاق بن سعد بن أبي وقاص: حدثني أبي أن عبدالله بن جحش قال فذكره بنحوه وزاد في آخره قال سعد: «فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه معلقتان في خيط».

(١) رواه ابن هشام (٢/ ٧٣)، وابن سعد (٣/ ١/ ٨٥)، وانظر سير أعلام النبلاء (١/ ١٤٨).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٤٣٣) المغازي.

يرجعوا قال: من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلًا. قال: كان فيهم أبو بكر والزبير[١].

قال الحافظ: قوله: «باب: الذين استجابوا لله والرسول» أي سبب نزولها وأنها تتعلق بأُحد. قال ابن إسحاق: كان أحد يوم السبت لنصف من شوال، فلما كان الغد يوم الأحد سادس عشر شوال، أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، وأن لا يخرج معنا إلا من حضر بالأمس، فاستأذنه جابر بن عبدالله في الخروج معه فأذن له وإنما خرج مُرهبًا للعدو وليظنوا أن الذي أصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوهم، فلما بلغ حمراء الأسد لقيه سعد بن أبي معبد الخزاعي فيما حدثني عبدالله بن أبي بكر، فعزاه بمصاب أصحابه، فأعلمه أنه لقى أبا سفيان ومن معه وهم بالروحاء وقد تلوموا في أنفسهم وقالوا: أصبنا جل أصحاب محمد ﷺ وأشرافهم وانصرفنا قبل أن نستأصلهم وهمُّوا بالعودة إلى المدينة، فأخبرهم معبد أن محمدًا قد خرج في طلبكم في جمع لم أر مثله ممن تخلف عنه بالمدينة قال: فثناهم ذلك عن رأيهم فرجعوا إلى مكة. وعند عبد بن حميد من مرسل عكرمة نحو هذا[٢].

الفوائد والآثار الإيمانية:

استفاض ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر الفوائد الفقهية والحكم والغايات المحمودة التي كانت في هذه الغزوة، وابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا تكلم في مسألة أعيا من بعده أن يأتي بمزيد، وصار من بعده عالة عليه في هذه المسألة، وسوف نختصر ما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإذا تيسر مزيد ذكرناه والله يتولانا وإياه برحمته ورِضاه ويبلغنا من الآمال فوق ما نتمناه:

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٤٣٢) المغازي، ورواه مسلم مختصرًا (١٥/ ١٩١) فضائل الصحابة.

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٤٣٢) والمشهور في كتب المغازي أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كل من شهد أُحدًا وكانوا سبعمائة قتل منهم سبعون، وظاهر رواية البخاري أن الذين خرجوا سبعين فالله أعلم بالصواب وقد جمع بعض العلماء بأن السبعين سبقوا إلى حمراء الأسد ثم تبعهم الباقون.

١- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ما ملخصه فصل فيما اشتملت عليه هذه الغزوة من الأحكام الفقهية منها:

- أن الجهاد يلزم بالشروع فيه حتى إن من لبس لأمته وشرع في أسبابه، وتأهب للخروج، ليس له أن يرجع عن الخروج، حتى يُقاتل عدوه.

- أنه لا يجب على المسلمين إذا طرقهم عدوهم في ديارهم الخروج إليه، بل يجوز لهم أن يلزموا ديارهم ويقاتلوهم فيها.

- جواز سلوك الإمام بالعسكر في بعض أملاك رعيته، وإن لم يرض المالك.

- أنه لا يأذن لمن لا يطيق القتال من الصبيان غير البالغين.

- جواز الغزو بالنساء والاستعانة بهن في الجهاد.

- جواز الانغماس في العدو كما انغمس أنس بن النضر وغيره.

- أن الإمام إذا أصابته جراحة صلى بهم قاعدًا.

- جواز دعاء الرجل أن يقتل في سبيل الله.

- أن السنة في الشهيد أنه لا يُغَسل، ولا يُصَلي عليه، ولا يُكفن في غير ثيابه، بل يُدفن فيها بِدَمه وكلومه، إلا أن يسلبها فيُكفن في غيرها.

- أن السنة في الشهداء أن يُدفنوا في مصارعهم، ولا ينُقلوا إلى مكان آخر.

- جواز دفن الرجلين أو الثلاثة في القبر الواحد، ويقدم أكثرهم قرآنا.

- أن من عذره الله في التخلف عن الجهاد يجوز له الخروج وإن لم يجب عليه.

- أن المسلمين إذا قتلوا واحدًا منهم في الجهاد يظنونه كافرًا فعلى الإمام ديته من بيت المال[1].

---

(١) باختصار من «زاد المعاد» (٣/ ٢١١، ٢١٨).

٢- وقال ابن القيم رحمه الله ما ملخصه: فصل في ذكر بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد:

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أمهاتها وأصولها في سورة «آل عمران» حيث افتتح القصة بقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران:١٢١]. إلى تمام ستين آية: فمنها:

- تعريفهم سوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٥٢].

فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول وتنازعهم وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذرًا ويقَظة وتحرزًا من أسباب الخذلان.

- أن حكمة الله في رُسله وأتباعهم جرت بأن يَدلوا مرة ويُدال عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة، وليتميز الصادق من غيره كما قال هرقل لأبي سفيان: هل قاتلتموه؟ قال: نعم. قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: سجال، يدال علينا المرة، وندال عليه الأخرى قال: كذلك الرسل تبتلى، ثم تكون لهم العاقبة [(١)].

- أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر، وطار لهم الصيت، دخل معهم في الإسلام ظاهرًا من ليس معهم فيه باطنًا، فاقتضت حكمة الله عَزَّ وَجَلَّ أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق. كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران:١٧٩].

(١) رواه البخاري (١/ ٣٠، ٤١) «بدء الوحي».

- استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء وفيما يحبون ويكرهون، فإذا ثبتوا فهم عبيده حقًا.

- أنه سبحانه لو نصرهم دائمًا وأظفرهم بعدوهم في كل موطن لطغت نفوسهم، وشمخت وارتفعت، فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء، فهو المدبر لعبادة بحكمته.

- أنه إذا امتحنهم بالغلبة والكسرة ذُلوا وانكسروا فاستوجبوا العز والنصر، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

- أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها.

- أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصروالغنى طغيانًا وركونًا إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار والأخرة.

- أن الله سبحانه يحب أن يتخذ من عبادة شهداء تراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ولا سبيل إلى هذه الدرجة إلا بالأسباب المفضية إليها.

- أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم قيض لهم الأسباب، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيُهم وطغيانهم ومبالغتهم في أذى أوليائه، فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم، ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١].

أن وقعة أُحد كانت مقدمة وإرهاصًا بين يدي موت رسول الله ﷺ فثبتَهم ووبّخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله ﷺ أو قتل بل الواجب عليهم أن يثبتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه، فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

٣- قال محمد الغزالي ما ملخصه:

ولئن أفادت وقعة بدر في خذل الكافرين، فإن وقعة أحد أفادت مثلها في فضح المنافقين ورُبَّ ضارة نافعة، وربما صحت الأجساد بالعلل.

ولعل ما ترتب على عصيان الأوامر في هذه الموقعة درس عميق، يتعلم منه المسلمون قيمة الطاعة، فالجماعة التي يحكمها أمر واحد، والتي تغلب على أفراها وطوائفها النزعات الفردية النافرة لا تنجح في صدام، بل لا تشرف نفسها في حرب أو سلام، والأمم كلها مؤمنها وكافرها تعرف هذه الحقيقة.

وأسرع الناس إلى الشغب والتمرد من أقصوا من الرئاسة وهم إليها طامحون، وكان عبدالله بن أبي مثلًا لهذه الفئة التي تضحي بمستقبل الأمة في سبيل أطماعها الخاصة، أما الرُّماة الذين عصوا الأوامر بلزوم أماكنهم مهما كانت أطوار القتال فقد مرت بهم فترة ضعف وذهول تيقظت خلالها بقية في أنفسهم من حب الدنيا والإقبال على عرضها الزائل فكان أثر ذلك ما كان، ولذلك لما دهش المسلمون للكارثة التي قلبت عليهم الأمور بَيّن الله لهم أنهم هم مصدرها فما أخلفهم موعدًا وظلمهم حقًا. ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥] (١).

٤- قال القاسمي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] أي كفكم عنهم حتى حالت الحال، ودالت الدولة، وفيه من اللطف بالمؤمنين ما لا يخفي، ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي ليجعل ذلك الصرف محنة عليكم لتتوبوا إلى الله، وترجعوا إليه وتستغفروه فيما خالفتهم فيه أمره وملتم إلى الغنيمة، ثم أعلمهم أنه تعالى قد عفا عنهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾

(١) «فقه السيرة للغزالي» (٢٨٦، ٢٨٧).

أي تفضلًا عليكم لإيمانكم، ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ أي في الأحوال كلها، إما بالنصرة وإما بالابتلاء، فإن الإبتلاء فضل ولطف خفي، ليتمرنوا بالصبر على الشدائد والثبات في المواطن، ويتمكنوا في اليقين، ويجعلوا ملكة لهم، ويتحققوا أن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يُغيروا ما بأنفسهم، ولايميلوا إلى الدنيا وزخرفها ولا يُذهلوا عن الحق، وليكون عقوبة عاجلة للبعض فيتمحصوا عن ذنبوهم، وينالوا درجة الشهادة، فليقوا الله طاهرين، أفاده القاشاني.

إلى أن قال: فائدة قوله تعالى: ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران:١٥٢] التنبيه على عظم المعصية لأنهم لما شاهدوا أن الله تعالى أكرمهم بإنجاز الوعد وكان من حقهم أن يمتنعوا عن المعصية فلما أقدموا عليها سلبوا ذلك الإكرام. وقال ظاهر قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡ ﴾ أنه تعالى عفا عنهم من غير توبة لأنها لم تذكر، فدل على أنه تعالى قد يعفو عن أصحاب الكبائر.

وقال في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ دليل على أن صاحب الكبيرة مؤمن، فإن الذنب في الآية كان كبيرة (١).

٥- ***وقال الغزالي:*** على أن المسلمين دفنوا موجدتهم في أفئدتهم، ولم يستسلموا لأحزاب المصاب الذي حل بهم، وكان تكاثر خصومهم حولهم سببًا في أن يقاوموا عوامل الخور، وأن يبدوا للناس بقية من قوة ترد عنهم كيد المتربصين على نحو ما قال الشاعر.

وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ ... أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لاَ أَتَضَعْضَعُ (٢)

---

(١) باختصار من «محاسن التاويل» (٤/ ٢٥٣، ٢٥٤).

(٢) «فقه السيرة للغزالي» [٢٩٠].